بعد خمسة عشر عاما على أحداث شعبان المأساوية

حقيقة ما جرى في آذار 1991: «إنتفاضة» كانت أم «غوغاء»؟

د. عادل البياتي*

في البدء اقول ان هذه المقالة لم تكتب من أجل الدفاع عن تصرفات النظام السابق، لأن أمر ذلك النظام ورموزه صار موكولاً للتاريخ، لكنها محاولة تحليلية إستذكارية وسرد موضوعي لحقائق وقائع ما جرى فعلا في شعبان 1991 عقب الإنهيار العسكري العراقي الفظيع في حرب الخليج الثانية وفوضى الإنسحاب من الكويت، ولأنه ما زال كثيرون من أبناء أمتنا العربية لا يعرفون بالضبط حقيقة ما جرى في شعبان (مارس،آذار) عام 1991 في مدن العراق الجنوبية والشمالية، عقب انتهاء ما سميت بـ(حرب تحرير الكويت) والإنسحاب (غير النظامي) لقطعات الجيش العراقي من الكويت باتجاه بغداد، وتبييت إيران وأعوانها للنوايا السيئة في استغلال الحالة العراقية المنهارة، وضعف إن لم نقل إنهيار أداء الاجهزة الحكومية وغياب الاعلام، وفقدان السيطرة الأمنية والحكومية على أجزاء كبيرة من العراق، إذ ثبت بما لا يقبل الشك أن إيران قامت بدفع عناصرأجهزتها الإستخبارية وحرسها الثوري وعملائها إلى داخل مدن العراق الجنوبية، والفرات الأوسط، وكذلك عاونت في تحريك ميليشيات الكرد (البيشمركة) في محافظات شمال العراق الثلاث ومعها كركوك للسيطرة على الأوضاع فيها، مما أدى إلى انفلات الأمور وسيطرة (جموع الدهماء) على الوضع في محافظات (البصرة والناصرية وميسان والسماوة والديوانية والنجف والكوت وكربلاء وبابل، إضافة إلى أربيل ودهوك والسليمانية وأخيرا كركوك) واستمرت أعمال الفوضى والقتل والتدمير في تلك المحافظات لمدد مختلفة، فمنها ما دام التمرد فيها أياما قليلة كالبصرة والناصرية (ثلاثة أيام)، ومنها ما دام أكثر من (أسبوعين) كالنجف وكربلاء.. بعد 15 عاما: ما حقيقة ما جرى؟

بعد 15 عاما من تلك الأحداث التي لم تخضع لكثير من التحليل والتفسير التاريخي، لا قبل سقوط النظام ولا بعده، إلا في حالات محدودة جدا، فلا بد من مراجعة حقيقية منصفة لحقيقة ما جرى في العراق في آذار (شعبان) 1991 عقب حرب الخليج الثانية. لأنه ما زالت قوى كثيرة من القوى المسيطرة على المشهد العراقي اليوم تتكئ على تلك الأحداث باعتبارها (إنتفاضة) شعبية شاملة، أسهمت فيها الأحزاب الشيعية الموالية لإيران، وكان القمع القاسي الحكومي لأحداث شعبان واحدة من التهم الموجهة للنظام السابق نتيجة مقتل الآلاف من المشاركين في التمرد وكذلك ضحاياه من المواطنين والموظفين الحكوميين والبعثيين.

المعلوم أن حرب الخليج الثانية إنتهت في 27/26 شباط (فبراير) بانسحاب (غير منظم) بل كان (شبه فوضوي) للقطعات العسكرية العراقية ومعها قطعات الشرطة والأجهزة الأمنية والجيش الشعبي، وتعرضت القطعات المنسحبة إلى استهداف بالطائرات الحربية خلافا لاتفاق وقف إطلاق النار، وللأسف كان طياروها من العرب، الذين أمعنوا في إيذاء وتدمير القطعات المنسحبة وإحراق العربات الناقلة بمن فيها ومن نجا عاد إلى البصرة والى بغداد مشيا على الأقدام (!!).. وكانت الجسور على شط العرب والفرات ودجلة مدمرة بالكامل، واستغرقت رحلة المعاناة لبعض العسكريين في العودة يومين أو أكثر مرورا بمحافظات البصرة والناصرية والعمارة.. باتجاه العاصمة.. وكان كثير من الجنود الجوعى يبيعون سلاحهم وعتادهم بقليل من التمر أو الأكل على طول الطريق.. واستغلت بعض القوى المدعومة من إيران هذه الحالة في الحصول على قطع سلاح من الجيش المنسحب بالشراء أو بالقوة.

الدور الإيراني في أحداث شعبان:

كان لإيران من خلال مخابراتها وحرسها الثوري ومن خلال جماعتها من العراقيين الموجودين في إيران (من بدر وغيرها)، دور بارز في توجيه وتخطيط أحداث شعبان، وللعلم فإن الدور الإيراني كان قد ابتدأ فعلا في التخطيط إعتبارا من يوم 1990/8/2 بدخول القوات العراقية الى الكويت الذي قرأت فيه القيادة الإيرانية فرصة جيدة للتحرك باتجاه تدمير العراق والإنتقام منه، فتظاهرت في البدء بالحياد، وعدم تدخلها في الشأن العراقي، لكنها في الحقيقة بدأت تبيّت النوايا السيئة، وكان النظام العراقي في أوج تورطه بقضية احتلال الكويت، يعيش فورة (الأحلام الزائفة) بعهد وديّ جديد من العلاقات الطيبة من الجارة الشقيقة (إيران) متناسين حقائق التأريخ، ونتذكر كيف جازف النظام بإيداع طائراته الحربية والمدنية في إيران كوديعة (أمانة) لدى جار مسلم (!!) حفاظا عليها من قصف الحلفاء، لكن إيران كانت تتطلع بشغف إلى هجوم التحالف الدولي بقيادة امريكا على العراق للتخلص من (العدو الأبدي الذي أذاقها الويل في حرب الثماني سنوات)، وإسقاط نظام بغداد، وحين بدأت حرب الخليج الثانية في 1990/1/17 إستغلت إيران ذريعة إرسال قوافل التموين والمساعدات (الإنسانية!!) الغذائية المرسلة من قبل الشعب الايراني الى الشعب العراقي، فكانت شاحنات الرز والدقيق تدخل عبر الحدود العراقية باتجاه المحافظات الجنوبية والفرات الأوسط وهي محملة بالأسلحة والخناجر والمتفجرات تحت أكياس المؤن.. ولم تكن تتعرض تلك الشاحنات الى أي إيقاف أو تفتيش لأنها (مساعدات إسلامية!!) من جار عزيز ومخلص؟؟ لقد كان من اكبر اخطاء النظام العراقي تلك الثقة العمياء بالجانب الايراني من خلال ارسال الطائرات العراقية وترك الحدود سائبة للشاحنات لتنقل ما سميت امدادات الغذاء للشعب العراقي دون تفتيش.. العوامل التي أسهمت في سقوط المحافظات بأيدي الغوغاء: كان هناك جملة من العوامل التي أسهمت في سقوط المحافظات منها:

1ـ الحالة المعنوية العامة المنهارة عقب (إخراج) القوات العراقية من الكويت بشكل فوضوي غير منظم.

2ـ غياب تام للاعلام (وبخاصة الإذاعة والتلفزيون) الذي كان أقوى رأسمال لدى النظام في صلته بالناس، نتيجة قطع الكهرباء وتدمير جميع محطات ومعيدات البث في كل أنحاء العراق، فضلا عن تدمير مباني الإذاعة والتلفزيون، وسمح ذلك للبث الإذاعي والتلفازي الإيراني أن يسيطر على معظم محافظات العراق (وبضمنها بغداد) ويكون هو مصدر المعلومات الوحيد، مع باقي المحطات المعادية للعراق التي كانت تبث دعايات عن سقوط وانهيار النظام، واحتمال هرب الرئيس صدام إلى روسيا، وغيرها من الإشاعات التي أسهمت في خلخلة ثقة الناس بالسلطة وقوتها.

3ـ هذا القطع الإعلامي، مع نشر إشاعات مختلقة، في اطار حرب الدعاية النفسية جعلت الكثير من العراقيين في المحافظات الساقطة يعتقدون أن نظام بغداد قد انهار بالكامل وأن صدام هرب إلى الخارج.

4ـ الدعم الإيراني (الذي تحدثنا عنه) وإدخال آلاف قطع السلاح والتفجيرات إضافة إلى الدعم البشري بعناصر من العراقيين المقيمين في ايران والمجندين من قبل سلطات النظام الإيراني.

5ـ خضوع عموم الناس الى نظرية (السلوك الجمعي) والإنقياد الطوعي لمثيري الفتنة من خلال تشجيع الناس على مهاجمة الدوائر الحكومية وسرقة ما فيها من مواد ومخزونات وأثاث، وتخوف الناس (العوام) من غدر المسلحين القادمين من إيران الذين هددوا الناس بالقتل إن لم يشتركوا فيما سميت بالإنتفاضة!!

من هم وقود الفتنة

أول أهداف الدهماء كان مهاجمة المواقف أو مواقف المجرمين (الموقف والتسفيرات) في كل محافظة وقاموا بإطلاق سراح المئات من المجرمين والموقوفين رهن المحاكمة، وهم الذين كانوا عنصراً فاعلا في القيام بالعمليات الإجرامية، سواء بالقتل والسرقات وأعمال الإنتقام. ومن المعلوم أن عددا كبيرا من عناصر حزب البعث كانوا مشاركين ضمن (الجيش الشعبي) في الكويت، وكانت حراسات الشرطة واهنة، لذلك كان سقوط عدد كبير من مراكز الشرطة والأمن والدوائر الحكومية بيد الدهماء.

أبرز أحداث الفتنة: كانت البصرة هي المدينة الأولى التي سقطت، في التاسع والعشرين من آذار (مارس)، لكن التمرد لم يدم طويلا، ومن المفارقات أن مدينة البصرة سقطت، لكن مقر القيادة العسكرية في منطقة مقر الفيلق لم يسقط، وكان (علي حسين المجيد) عضو قيادة الحزب والمشرف على البصرة، موجودا في الفيلق، ومن هناك كان يدير عملية التخطيط لتطهير البصرة من المتمردين، وفعلا كانت البصرة من أوائل المحافظات التي تم القضاء على التمرد فيها خلال أيام. وكانت الناصرية (محافظة ذي قار) هي المحافظة الثانية التي سقطت في اليوم التالي لسقوط البصرة، واستمر التمرد فيها حوالي 6 أيام. وكذا العمارة، ولكن أطول المحافظات الجنوبية تمردا كانت (النجف) و(كربلاء) بسبب احتماء عناصر التمرد داخل الأضرحة الدينية المحكمة وكونهما مركزا رئيسا للتمرد. أما الديوانية فاستمر التمرد فيها (4) أيام، أما (الكوت) أو مركز محافظة واسط فلم تسقط نهائيا، بل شهدت مصادمات عنيفة وتمكنت قوات الجيش والشرطة والمخابرات والحزب من إفشال التمرد. ولم يستمر التمرد في مدينة الكوت أكثر من يوم واحد.

هل كانت فعلا (إنتفاضة) تحريرية أم فتنة طائفية؟

إن محاولات إضفاء صفة (الإنتفاضة) على أحداث آذار/ شعبان 1991 تصطدم بالحقائق على الأرض التي تؤكد:

1ـ وجود النفس الطائفي، والتحريض الإيراني الذي وصل حد التسليح والتجهيز والإمداد، والمعاونة الإعلامية في ترويج الدعايات.

2ـ قيام أفعال النهب والسلب للمقار الحكومية.

3ـ مهاجمة المساجد، وحرقها، وقتل أئمتها، وتحويل (الحسينيات) إلى مقار للتمرد ومحاكمة موظفي الحكومة ومنتسبي حزب البعث وإعدامهم.

4ـ توجه الغوغاء نحو السجون والمواقف وإطلاق سراح المجرمين والمحتجزين وإشراكهم في أعمال القتل والنهب والسلب.

5ـ القيام بأعمال إنتقام سياسي وطائفي وعرقي كما حصل في معظم محافظات التمرد، ومنها الناصرية التي تم إعدام المحافظ ومدير الشرطة ومدير الأمن بعد تعذيبهم وسحلهم في الشوارع.

6ـ كانت كاميرات التلفزيون الإيراني هي الوحيدة المتواجدة في محافظات التمرد، والتي كانت تنقل الأحداث يوميا وكان العراقيون يتابعون الأخبار من خلال قنوات التلفزيون الإيراني.

تحويل مرقد الإمام علي ساحةً لتنفيذ الإعدامات بعد التعذيب: تم تحويل المراقد الدينية في كل من النجف وكربلاء إلى مقرات لقيادة التمرد، وتشكيل حكم محلي يقود التمرد، وقد شاهدت بأم عيني كيف تم تحويل مرقدي الامام علي والحسين عليهما السلام إلى ساحات للمحاكمة وتنفيذ أحكام الإعدام بحق الموظفين البعثيين، ورجال الشرطة والأمن، وحدثني أحد الناجين من الإعدام في مرقد الإمام علي بالنجف، كيف تم إعدام أعداد من المقبوض عليهم ممن قاوموا التمرد ومن الحزبيين، إذ تم طعنهم بالخناجر والسيوف إمعاناً في تعذيبهم ومعظمهم كانوا من المصابين بجروح نتيجة المقاومة، ومن بينهم هارون (مدير شرطة النجف) ومعاونه الكردي (سردار) اللذان تعرضا للتعذيب بالأسلحة الجارحة وبعد أن نزفوا دما كثيرا تم إطلاق النار عليهم داخل مرقد الإمام علي. ونفس الحال جرى مع أحد الشعراء الشعبيين المعروفين في النجف والحلة حيث تم تعذيبه وقطع لسانه ومن ثم إطلاق النار عليه. وأتيحت لي فرصة زيارة مكتبة الإمام علي في النجف (المسماة دار الحكمة) ووجدت برك الدماء تصل إلى الركب من كثرة الإعدامات التي أجريت في هذه المكتبة.

كركوك آخر المدن التي سقطت وآخرها تحريراً كانت مدينة كركوك آخر مدن العراق التي سقطت بيد المتمردين، إذ سقطت يوم 22 آذار (مارس) 1991 لكن تم تحريرها من قبل قطعات الجيش العراقي في 29 آذار أي بعد اسبوع من سقوطها. كما تم تحرير السليمانية وأربيل ودهوك. إلا أن قطعات الجيش والحكومة إنسحبت بأمر من القيادة العراقية من محافظات الحكم الذاتي الثلاث أعلاه، بعد ان تدخلت القوات الأمريكية في منع الجيش العراقي من استخدام الأسلحة والطيران ضد المحافظات الكردية الثلاث، وتم استلام مسؤولية حكم المحافظات الثلاث من قبل الحزبين الرئيسيين الكرديين، حزب الطالباني (الإتحاد) في السليمانية، وحزب (البارزاني) الديمقراطي الكردستاني في أربيل ودهوك.

تحرير المحافظات وقصة المقابر الجماعية: إستطاعت الحكومة المركزية في بغداد الإسراع في إعادة تنظيم وتسليح قوات الحرس الجمهوري التي تحركت لتحرير المحافظات الساقطة وإعادتها إلى سيطرة الدولة، وكانت أسرع المحافظات في التطهير هي البصرة والناصرية والعمارة والسماوة، وكانت أطولها تمردا النجف وكربلاء ومن ثم كركوك. ولقد ادت أعمال الشغب والقتل والإنتقام إلى (مقتل المئات بل الألوف) في مدن التمرد، سواء ممن قتلتهم قوات التمرد، أم من قتلتهم قوات الحرس الجمهوري أثناء عمليات التطهير، من المتمردين أو المخدوعين بالتمرد أو من أجبرتهم قوات التمرد على الإلتحاق بها. وتم إنشاء محاكم ولجان تحقيق في المحافظات المحررة قامت بإجراء التحقيقات الفورية وتنفيذ أحكام الاعدام بالمشاركين في القتل وأعمال الإنتقام.

أسوأ أيام العراق المعاصر: إن أحداث شعبان (آذار) 1991 المأساوية كانت محنة بمعنى الكلمة مر بها العراق بعد محنة حرب الخليج الثانية التي أنهكت العراق واستنزفت قواه العسكرية والتعبوية والمالية، وذهب ضحيتها عشرات الألوف من العراقيين، سواء ممن شاركوا تحت التأثير الإيراني في أعمال التمرد، أو ممن أجبروا على المشاركة إنقاذاً لحياتهم، أو من الموظفين الأبرياء والحزبيين الذين تم تنفيذ أعمال الثأر ضدهم من قبل قوى التمرد، إرضاءً لشهوة الإنتقام والثأر وتنفيذا لأجندات وأوامر الجهات التي دفعتهم وغررت بهم للإشتراك في أعمال إجرامية يعدها القانون من أفعال الجريمة التي تستحق العقاب الصارم.. وكانت النتيجة هي سقوط الضحايا والخسائر.. وما زال العراقيون يذكرون تلك الأيام كأسوأ أيام مرت على تاريخ العراق المعاصر.

---

* كاتب أكاديمي من العراق

حول مقالة كيلو «نعوات سورية»: الدلالة والمعنى

غسان المفلح*

■ في رد الصديق الكاتب نضال نعيسة على تلك المقالة التي كانت سببا في اعتقال الكاتب ميشيل كيلو والمنشورة في صحيفة «القدس العربي»، هذا الرد الذي جاء قاسيا في دلالاته ومعانيه من قبل نضال. كما أن الصديق نزار نيوف قد أرسل لي إيميلا يبدي فيه بعض الملاحظات الانتقادية على ما أكتب حول هذا الشأن وعلى مقالة لي حول اعتقال الرفيق والصديق فاتح جاموس منشورة أيضا في صحيفة «القدس العربي» أتطرق فيها للموضوع الطائفي في سورية، مما جعلني أعيد قراءة المشهد السوري من هذه الزاوية التي يبدو أن الكل مجمع على خطورتها رغم اختلاف المعالجة والتعاطي معها وهي (المسألة الطائفية في سورية).. وللتأكيد على ذلك يقول نضال في رده على ميشيل كيلو التالي:

(وكقارئ حيادي، يمكنني القول، بأن السيد كيلو قد تجاوز كل المحرمات، والخطوط الحمراء، وانغمس في ما لا يحمد عقباه، ونفخ في نار كامنة تحت الرماد، في فصل سياسي حار، بحاجة لكل المبردات، والمهدئات، ولا جدوى من إثارتها على الإطلاق). السؤال الذي يفرضه هذا المقطع من الرد المذكور هو: عن أي نار كامنة تحت الرماد يتحدث صديقي نضال؟ إذن الجميع يستشعر بخطر الإشكالية الطائفية في سورية.. وكما كتب أيضا تعقيبا على مقالة ميشيل الصديق بشار العيسى مقالة أخرى.

من حق الجميع أن يخاف على أبناء وطنه ومن حق الجميع أن يكون له رأي فيما يدور في وطنه!! ومن حق الجميع أن يكتب بالطريقة التي يراها مناسبة. وسأذكر الصديق نضال بما كتبه عن إعلان دمشق عندما سماه (إعلان قندهار) وكأن إعلان دمشق للتغيير الديمقراطي قادم من عند أسامة بن لادن مباشرة. ولا يخفى على أحد بالطبع ما تحمله هذه الدلالة من معنى، رغم أنني كنت متفقا مع أغلب الملاحظات التي أوردها نضال حول ذلك الإعلان، لجهة الديباجة التي تتحدث عن العقيدة الإسلامية للدولة السورية المرجوة. وأنا هنا لست بمعرض فتح الحوار بين الأشخاص بقدر ما أطمح لفتح الحوار حول إشكالية خطيرة تهدد الوضع السوري برمته وتستخدمها السلطة من أجل مصالحها، والحوار المراد بين الأفكار وليس بين الشخوص باعتبار أنني مثل نضال افترض حسن النوايا عند الجميع تجاه سورية..والسؤال الذي سأبدأ منه هو: كيف يمكن تلافي خطر النار الكامنة تحت الرماد كما يشير نضال في رده؟ هل بالسكوت عنها وبقائها رهينة اللعب السلطوي عليها أم بفتحها وإزالة هذا الرماد كي لا يبقى مصير الشعب السوري مهددا بالنار الكامنة تحته. هذا الحوار الذي يجب أن يتحلى المتحاورون فيه بكل ما من شأنه الحصول على العنب وليس قتل الناطور على طريقة المثل السوري (نريد العنب لا نريد قتل الناطور) وكنت أحاول منذ زمن إثارة هذا الحوار عبر سلسلة من المقالات تحت عنوان أراه نفسه فاتحة لحوار مثمر (الأكثرية ديمقراطية فالأقليات بخير) والمنشور في صحيفة «السياسة» الكويتية وأعيد نشره في العديد من مواقع النت السورية وغير السورية. وجاء اعتقال ميشيل بعد مقاله ـ الكارثي حسب المعنى الذي يريد نضال إيصاله ـ (نعوات سورية). هذا المقال عله يكون فاتحة لحوار علني مثمر وشفاف حول هذه الإشكالية الطائفية في سورية. ولنبق على مسافة واحدة كمتحاورين من هذا الملف الشائك مسافة الهم السوري الواحد والمشترك نحو سورية ديمقراطية مدنية وعلمانية. هل الشعب السوري يختلف مثلا عن الشعب اللبناني وعن الشعب العراقي؟ تماما كما يشير نضال عن السلطة السورية أنها ليست فريدة في ممارساتها على كافة الصعد. حسنا لنبدأ من هذا القول: أليس ما يدور في العراق الآن هو نتيجة لسلوك سلطة صدام حسين القمعي والطائفي على مدار ثلاثة عقود من عمر الدولة العراقية بالدرجة الأولى؟! هل نحن بحاجة إلى علم اجتماع مقارن لدراسة حركة الشعوب؟

المخزون الثقافي لدى شعوبنا ما هو؟ هل هو مخزون يعلي من قيمة الانتماء السياسي على الانتماء الطائفي أو الديني؟ علينا الإجابة عن هذا السؤال كي نعرف إلى أين يمكن لنا أن نسير ونعرف أن هذه النار الكامنة تحت الرماد يمكن أن تشتعل في غفلة من التاريخ وتحرق الأخضر واليابس في سورية.

بين طائفية الوعي والوعي الطائفي:

أو كما كتبت مرة (الطائفية في لبنان مؤسسة وفي سورية ثقافة لم تتأسس بعد) في لبنان هنالك وعي طائفي لأنه وعي مؤسسي له مؤسسات ومحمي في الدستور اللبناني له مدارسه العلنية ومراكز ثقافته العلنية..الخ، ما الفرق بين جامعة الأوزاعي وبين جامعة الكسليك؟ في سورية استطاعت السلطة السورية أن تكرس طائفية الوعي في مواقع مسبقة ومحصنة سلفا ـ الجيش والمخابرات ـ ولا تريد لها لا أن تنتهي ولا أن تتأسس أيضا عبر صيغة لبنانية يسمونها مثلا ـ ديمقراطية الطوائف ـ رغم أنها ليست طموحنا كمعارضين سوريين ومع ذلك تمنع السلطة تأسيس أي وعي يجعل طريقة حكمها نافلة ـ مارقة على التاريخ ـ حتى ولو كانت مؤسسات ذات وعي طائفي (كأن ينص الدستور السوري في أحد بنوده على أن الجيش والمخابرات هما حكر على ابناء الطائفة العلوية، هذا معمول به في طائفية الوعي وتمثيلاته اللامؤسسية ولكن السلطة السورية عاجزة عن أن تؤسس لمثل هذا المعمول فيه عمليا على المستوى الدستوري والقانوني). تماما كما تمنع أي وعي علماني وديمقراطي. إنها تقبع في المسافة بين هذين الحدين بين طائفية الوعي ـ انطلاقا من بيير بورديو في رؤيته لما يسمى (بالحس العملي) أو العفوي عند القراءة اللينينية لمقولة الوعي بذاته والوعي لذاته حول وعي الطبقة العاملة في تأسيس كانطي ـ إن السورية ـ كمواطنة ـ لا تولد عفويا وبناء على ثقافة الولادة المبنية على ما قبل الوطني وما قبل السياسي، بل تولد في فعل واع لمجتمع تأسس على مفهوم المواطنة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى. المواطنة هي ثقافة عالمة عبر مؤسسات ومدارس وقوانين ودساتير تعلم هذه الحقوق وتحميها بنفس الوقت. إذن السلطة تقبع بين طائفة الوعي وبين الوعي الطائفي لأنها غير قادرة على أن تساهم في تأسيسه أو مأسسته / فهي سلطة لادينية وطائفية في نفس الوقت!! بين سلطة دولة القانون وبين سلطة اللاقانون ـ هذا ما تتيحه حالة الطوارئ المعمول بها منذ أكثر من خمسة عقود في سورية. والسؤال أيضا لو كان الديكتاتور السوري أكثريا أي ينتمي بالولادة للأكثرية السنية العربية هل يمكن لسورية أن تكون سلطتها في نفس المأزق حتى وإن كانت المارسات القمعية نفسها في كلا الحالتين؟

لا يمكن التخلص من هذه المزدوجة ـ طائفية الوعي والوعي الطائفي ـ إلا عبر مشروع ليبرالي حقيقي بكل ما تحمله هذه المفردة من مضامين ودلالات والذي وحده يخرج سورية من مأزقها.

حيث تقبع السلطة على عنق المجتمع داخل هذه المزدوجة تماما كما تقبع داخل مزدوجة اللاحرب واللاسلم مع إسرائيل على المستوى الاقليمي.

بين المزدوجة الطائفية وإرادة السلطة:

ووفقا لمنطق الحوار نقول ليس عيبا يا صديقي أن يكون الريفي متخلفا وبسيطا تماما كما يمزح أهل سورية وخصوصا أهل الشام على أهل حوران ـ والأشقاء اللبنانيين أيضا ـ وليس العيب في أن يكونوا طائفيين ـ في حسهم العملي ـ وليس خطأهم أن يكونوا مادة لمشروع سياسي طائفي ومتخلف كمشروع السلطة في سورية، بل الخطأ والعيب كل العيب في المجتمعات الحديثة تتحمله إرادة السلطة والسؤال: هل إرادة السلطة السورية هي إرادة سلطة مدنية وعلمانية؟ أم هي إرادة تقبع في المنطقة الوسط بحكم جهازها القمعي حيث أخطر ما يواجهها هو التحديد هو أن تأخذ هويتها سلميا وخارج ثقافة القمع والخوف..ليست شتيمة أن يكون الناس البسطاء كثير منهم أو قليل داخل الطائفة العلوية ينظرون لحافظ الأسد كمخلص أو كنبي..أبدا..علينا بدم بارد ان نقارب الحقائق بغض النظر عن مشاعرنا؟ هل استطيع الدفاع عن تخلف الريف في درعا ـ حوران التي انتمي إليها بالولادة ـ في ثقافتها التقليدية قبل عقود مثلا وربما لا زالت كذلك في نظر الكثيرين وهذا ليس عيبهم في المجتمعات الحديثة وفي أسباب نشوء الدول بل العيب كل العيب مرة أخرى في إرادة السلطة في سورية.

وهل العيب في نظرك أن يكون الفقراء مادة لمشاريع طائفية ودينية عنفية متخلفة!! أقصد العيب فيهم كبشر أم في الثقافة التي ولدوا عليها أم العيب في إرادة سلطة تريد الاستمرار مهما كانت الأثمان التي سوف يدفعها المجتمع السوري؟! هل ترى الأغنياء هم من يذهبون للشعوذة وأخذ الحجب من الأولياء أم أن جل أو غالبيتهم من الفقراء؟! ومع ذلك هذا لاينتقص من قيمتهم الإنسانية والأخلاقية بل يؤشر وفق المعايير الحديثة والمعاصرة على تهتك قيمي لدى السلطة وإرادتها..

هنا يقبع مجتمعنا السوري وهنا سر بلواه بالضبط في إرادة سلطته وليس في أسباب أخرى وإن وجدت فهي ثانوية لأن إرادة السلطة في المجتمعات الحديثة لا تنبني على روابط الطائفة والدين..الخ بل تنبني على روابط المواطنة؟ كثيرون يا صديقي هم فقراء الجزيرة السورية وحوران الذين تطوعوا سابقا في الجيش كضباط، هل هؤلاء يتم التعامل معهم على قدم المساواة مع الضباط من أبناء الطائفة العلوية... لا تقل لي: مصطفى طلاس أو رستم غزالي؟!

علينا أن نبحث الأمر بكثير من الدم البارد وقليل من المشاعر المتضاربة في دواخلنا التي لم يتسن لها أن تتربى في بيئة سياسية ـ مواطنة وثقافة مدنية صحيحة وصحية ـ وسأعطيك مثالا:

من لبنان:

لماذا الموارنة أكثر انفتاحا على الحضارة الغربية من السنة والشيعة لا بل حتى أكثر من المسيحيين اللبنانيين الأرثوذكس؟

يجب ألا نبقى خاضعين لعباءة السلطة في تخويفها المجتمع السوري والدولي بأن لا بديل لها سوى حرب أهلية أو تيارات أصولية عنفية..

وكي نوسع دائرة النقاش أقول لك المثال التالي:

سابقا في حوران كانت الأعراس تقام مختلطة بين الرجال والنساء والدبكة تعرفها أنت.. الناس فيها يدبكون المرأة إلى جانب الرجل والشاب دون أن يمت لها بصلة القربى أما الآن فهذه باتت حالة نادرة نتيجة لتعزيز هيمنة الوهابيات والسلفيات المدعومة من قبل السلطة...

إرادة السلطة في سورية هي من يجب أن نفندها حتى لوكان هذا الأمر يمس مشاعر بعضنا نسبيا تلك المشاعر المخزونة في طيات ثقافتنا اللامدنية والمترسبة في قاع لاوعينا وحتى وعينا أحيانا أخرى. أنت نفسك اتهمت بعض أطراف إعلان دمشق أنهم طائفيون وإقصائيون؟!! وهذا بجانب منه صحيح ولكن ليس على مبدأ: ولا تقربوا الصلاة.

دعنا بوضوح وشفافية وبلا ضغائن نفتح الحوار عل وعسى نخدم سورية في مشروع ليبرالي.

---

* كاتب من سورية

عبد الناصر والاغتيالات السياسية عن سميرعطالله.. عن محسن ابراهيم انه قال!

امين الغفاري*

■ عرف المجتمع العربي الاغتيالات السياسية، شانه شان كل المجتمعات التي تضيق صدورها بالراي الاخر، وتتصادم فيها الارادات، الى الحد الذي يفقد فيه الطرف الاخر اي امل في تحقيق معتقداته او تحقيق مصالحه على السواء، فليست كل الاغتيالات تقف من خلفها مبادئ او معتقدات، وانما في الكثير منها تلوح المطامع والمصالح والاهواء، والدليل الصارخ على ذلك اغتيال جون كيندي رئيس الولايات المتحدة الامريكيه، وهو على قمة سلطانه، وليس زعيما للمعارضة، وانما هو الحاكم لأعتى امبراطورية عرفها التاريخ، ثم يقتل قاتله لي ازوالد وبعدها يقتل قاتل القاتل روبرت فنلكشتاين.

لكي تنتهي معالم الجريمة التي اهتز لها العالم بحكم شخصية وموقع الرئيس الذي تم اغتياله وبحكم الطموحات التي كان يمثلها، بتميز راديكالي احدث قلقا لاصحاب المصالح، وبحكم موقع الامبراطورية ايضا ودورها التي كان يقودها على المسرح الدولي، والادهى من ذلك ان يتم اغتيال شقيقه وساعده الايمن روبرت كيندي ممثل الادعاء العام زمن حكمه بسنوات معدودة وهو العارف ببواطن الامور وخباياها، والغريب ان اسرته لم تتقدم بطلب تحقيق دولي في عمليات الاغتيال، كذلك لم يحصل (المغفور له) كيندي على لقب الرئيس الشهيد، ولم تتهم كوبا مثلا وهي الجار المشاغب الذي لم تنحن هامته امام تهديد العم سام، انها وراء عملية الاغتيال بحكم انه ادار عملية غزوها من خلال خليج الخنازير، ولم تتهم كذلك ان اجهزتها تتغلغل داخل المجتمع الامريكي، او ان عملاءها يحكمون السيطرة على مقدراتها.

لقد تاهت معالم الجريمة لان قبضة المصالح، في بعض المجتمعات اقوى من سلطة الدولة، ان لم تكن الثانية مسخرة لخدمة الاولى، وفي المجتمعات العربية فان الواقع ادهى وامر.

وان يدعي جميل مروة ان عبدالحميد السراج هو (ابو) الاغتيالات السياسية في المنطقة العربية وذلك في البرنامج الجماهيري (خليك في البيت) الذي يعده ويقدمه الاعلامي اللامع زاهي وهبي مساء الثلاثاء 16 ايار (مايو) الماضي فذلك افتراء على التاريخ وعلى الحقائق في ان واحد، وان كان يغفر للسيد جميل مروة انه يدافع عن قضية شخصية مهما البسها من ثياب المبادئ والقناعات، فالرجل يعطي جوانب عدة من المسؤوليات لعبدالحميد السراج ازاء عمليات الاغتيال كقاعدة تطورت في هذه المنطقة واتخذت لها ميادين متعدده، وهو ما يتنافى مع اي بحث محايد.

فقد عرفت مصر الاغتيال السياسي مبكرا حين قتل ابراهيم الورداني بطرس غالي في اوائل القرن الماضي تحت قناعة انه سيمدد اتفاقية قناة السويس، وقتل في القاهرة اللورد موين في العشرينات بواسطة اثنين من اليهود لتعكير العلاقات المصرية ـ البريطانية، وشهدت مصر في الاربعينات سلسلة من الاغتيالات السياسية فقد قتل احمد ماهر رئيس الوزراء المصري تحت قبة البرلمان، تحت قناعة انه كان سيزج بالجيش المصري في الحرب العالمية الثانية وقتله محام شاب اسمه محمود العيسوي، وقتل محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء ووزير الداخلية لانه اقدم على حل جماعة الاخوان المسلمين وقتله طالب في كلية الطب البيطري اسمه محمد حسن في فناء وزارة الداخلية بعد ان ارتدى زي ضابط البوليس، وقتل حسن البنا مؤسس جماعة الاخوان المسلمين وذلك ردا على اغتيال النقراشي، وقبلها قتل القاضي الخازندار لانه حكم بالادانة في بعض قضايا الاخوان، كما قتل اللواء سليم زكي حكمدار القاهرة لدوره ايضا في تعقب الاخوان، وفي الخمسينات حاول الاخوان بواسطة محمود عبداللطيف اغتيال جمال عبدالناصر بتحريض من مسؤول منطقة امبابة للاخوان المحامي هنداوي دوير.

اما في الاردن فقد تم اغتيال الملك عبدالله في المسجد الاقصى، وفي لبنان تم اغتيال رئيس الوزراء رياض الصلح، واغتيل سامي الحناوي قائد الانقلاب السوري على حسني الزعيم. كل تلك الاغتيالات قبل ان يبزغ نجم عبد الحميد السراج على المسرح السياسي السوري او العربي بحكم انه كان في موقعه الاخير نائبا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة، وقد انتهى دوره السياسي عام 1961 بوقوع الانفصال، الم يتجاوز السيد جميل مروة كثيرا في حكمه على السراج بانه ابو الاغتيالات في المنطقة العربية؟

ويتساءل زاهي وهبي عن سبب الصاق تهمة اغتيال كامل مروة بعبدالناصر فيجيب جميل مروة عن سمير عطا الله عن محسن ابراهيم انه قال ان عبد الناصرقد ذكر له (ان كامل مروة كان اكبر من صحافي) وبالتاكيد ستغمر الدهشة عقل السامع او القارئ وهو يبحث في ذلك الرد بتلك الكلمات عن اي معنى للاقرار بارتكاب جريمة الاغتيال او التحريض عليها، ذلك ان مرت تلك العنعنات بسلام دون اي تحريف حتى وان كان غير مقصود، ويتساءل المرء عن تلك العلاقة التي تربط عبدالناصر بمحسن ابراهيم حتى يدلي له بذلك الاعتراف، ذلك ان عددنا تلك الكلمات اعترافا بالجريمة! ويستطرد جميل مروة فيذكر اسم سامي شرف سكرتير الرئيس عبدالناصر بانه وراء التكليف، واسم عبدالحميد غالب سفير مصر في لبنان واتصالاته التليفونية، وورود هذه الاسماء يدعو للدهشة فالجرائم السياسية تتم بتكليفات لاجهزة خاصة يتصف عملها بالسرية والكتمان وكذلك اسماء المكلفين ومن قاموا بتكليفهم، ضمانا لتنفيذ الخطة، وبعدا عن الشبهات بما لا يثير الشك حول الدولة ودورها، تلك قواعد متعارف عليها، ولكن منطق السيد جميل مروة، يصور عملية الاغتيال التي ينسب رعايتها للسفارة وللسفير، ولسكرتير الرئيس، كما لو كانت عملية الاغتيال مظاهرة سياسية دبلوماسية تشارك فيها المؤسسات الرسمية في وضح النهار، ولم يعد باقيا سوى اصدار بيان رسمي من وزارة الخارجية باعلان المسؤولية عن الحادث وتقليد القائمين به الاوسمة والنياشين من خلال مؤتمر صحافي عالمي، وكما لو كان حكام مصر لا يتحسبون لمكانتهم الدولية المرموقة، وكان لهم اسهامهم في تشكيل كتلة عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية بالاضافة الى المساهمة في تحرير الجزائر واليمن ومساندة الثورات الليبية والعراقية، وكان هناك بالفعل ما يطلق عليه نظام عربي كانت مصر سنده وعدته، اليست تلك المكانة الدولية حافزا للتحسب دون الجهر، ذلك ان صح الاتهام، وهو متهافت من الاساس، والدليل على ذلك ان المحكمة من جانب اخر لم تشر الى اي ارتباط، وبمرور كل تلك السنوات لم تصدر عن اي جهة تفصيلة واحدة او مجرد اشارة تفضح سرا او تكشف دورا، وعلى تعدد الحملات المشبوهة التي قامت ضد عبد الناصر تحاول ان تقتلع جذوره من قلوب وعقول امة بكاملها، او ان تغتال ذكراه، لم يشر احد انه اصدر امرا او كلف شخصا بالاقدام على عمل مشابه، بل اننا لو عدنا الى تاريخ عبدالناصر لكي نتعرف على طريقته في التفكير، واسلوب حركته، فسوف نجد ذلك واضحا في وثائق الثورة التي صدرت في عهده، وفي خطبه واحاديثه الصحافية، وهي من الوفرة بحيث تعطي الملامح كاملة. حول الاغتيالات السياسية يقول عبد الناصر في فلسفة الثورة انه حاول مع كمال رفعت اغتيال اللواء حسين سري عامر وكان قائدا لسلاح الحدود لعلاقته الوثيقة مع الملك وحاول زجه في انتخابات نادي الضباط، وبعد ان اطلق عليه الرصاص فعلا وعاد الى منزله، وضح له خطأ ما اقدم عليه وخطط له، وتمنى لو ان الرصاص قد اخطأه، وهو ما حدث تماما فقد نجا حسين سري عامر، ويستطرد عبدالناصر في القول ان الاغتيال السياسي لا يجدي، ولا يعني تصحيحا او تصويبا، وانما يريق دما ولا اكثر من ذلك، فالاصلاح يستدعي اصلاح النظام وليس الخلاص من افراد مهما كان دورهم. ثم نأتي لقيام ثورة يوليو، ورفضه القاطع اعدام الملك فاروق وقال ـ حسب رواية الاستاذ هيكل ـ ان الدم لا يولد غير الدم، ولذلك فلندع التاريخ هو الذي يحاكمه، ثم اي خطورة تلك التي كان يمثلها كامل مروة تستدعي اغتياله من قبل نظام له جماهيريته العربية الكاسحة، هل لمجرد انه يهاجم الاشتراكية؟ ان للاشتراكية خصوما كثر، صاغ ضدها الامام احمد امام اليمن قصيدة، وقال الملك الحسن تصريحا (نحن لا يمكننا ان نتسامح مع بن بيلا لانه قد اتى بجرثومة الى هذه المنطقة اسمها الاشتراكية)، وبالتاكيد لم ترحب السعودية بها ومروة كان على علاقة وثيقة معها، يكشف عن ذلك ـ حتى وان كان في اطار النفي ـ جميل مروة حين يقول ان جلالة الملك فيصل وجه له الدعوة بعد اغتيال ابيه وهو لم يتعد السادسة عشرة من العمر وربت على كتفه معزيا و(حنونا) وهو يقول لا تصدق ما يقولونه عن ابيك وارتباطه بنا فقد اخذنا منه ولم يأخذ منا!

في حرب 1956 كانت هناك احدى عشر محطة اذاعيه لقوى كبرى تهاجم عبدالناصر وتصفه بالعميل السوفييتي وانه مجرم وسفاح ومأجور، ولم تحرك كل هذه الادعاءات ساكنا لدى عبدالناصر، بل انه قال ذات مرة: حين يخف الهجوم علينا اتساءل يبدو اننا نسير في الاتجاه الخاطئ.

والسؤال الذي لا مندوحة من طرحه، اي وزن ذلك الذي كان يمثله كامل مروة، لكي ترتعد فرائص الحكومة المصرية من كتاباته، اتأدب فاكتفي بالابتسام، ويقول جميل مروة لقد اغتالوه لانهم لم يستطيعوا شراءه، وسؤال اخر يطرح نفسه، هل كان سعيد فريحة مأجورا لعبد الناصر وهل كان غيره من الصحافيين اللبنانيين والعرب بل والاجانب امثال جان لاكوتيرالفرنسي وكارنيجي الهندي وانتوني ناتنج البريطاني وغيرهم ماجورين واستعصى فقط كامل مروة على ذلك فتم اغتياله!

ثم تاتي شهادة المحامي في البرنامج ويقول ان عمره وقتذاك كان اثنين وثلاثين عاما وان المرحوم بهيج تقي الدين قد فاتحه لكي يقوم بالدفاع عن ابراهيم قليلات مشيرا انه سيخرج من تلك القضية بريئا، ويضحك جميل مروة معقبا (قضاء معلب)، ويخرج قليلات بريئا بالفعل ليس لان القضاء معلب فقد ادين ثلاثة متهمين ولكن لان الادلة ضد قليلات كانت متهافتة كما يتبادر الى ذهن اي منصف.

لا يمكن توجيه الاتهامات للجميع جزافا ودفعة واحدة، للدولة الكبرى في المنطقة وتحت زعامة تاريخية كانت محل اكبار وتقدير ودور لا ينكر في حركة التحرير العربية والافريقية، ثم اتهام للقضاء في دولة اخرى انه معلب مع انه حكم بالادانة لمتهمين، لانه لم يشمل متهما رابعا في سهرة تتداعى فيها الذكريات على امتداد اربعين عاما.

استعير في النهاية كلمات كاتب كبير رحل عن هذا الزمان ولكنه ترك لنا فكرا ورؤية وشهادة تتحدى كل الاراجيف عبر كل الازمان وهو احمد بهاء الدين قال فيها عن عبد الناصر: سيبقى كبيرا كبيرا في صفحات التاريخ بعد ان تطوى صفحة كل الذين هاجموه او تطاولوا عليه.

---

* كاتب من مصر يقيم في لندن

مصر: تراجع المشترك الثقافي وتآكل معنى الوطن

د. أحمد ثابت*

■ هناك جوانب كثيرة يمكن النظر من خلالها إلى ما يحدث من عنف طائفي وتوتر مستمر على أساس من هوية الدين أو المعتقد في مصر لا يمكن التقليل من شأن حوادثه الأليمة التي تزيد الاحتقان والعزلة بين أبناء الوطن الواحد مسلمين وأقباطا بحيث صار وعاء الانتماء أو الرابط هو المسجد أو الكنيسة. ولا يمكن أن نتنكر ولا نضع رؤوسنا في الرمال لما يحدث منذ عام 1971 حيث حوادث منطقة الخانكة وحتى الآن أي حوادث الاعتداء الإجرامي على كنائس أربع بالإسكندرية، ومظهر ما يحدث وجوهر ما يحدث أساسا هو تراجع بل تقزم بل ضيق متزايد لمعنى الوطن الذي يضم الجميع مسلمين وأقباطا على أسس ثقافية مشتركة بالأساس وأهمها مبدأ المواطنة. وهنا يلاحظ حدوث تآكل متواصل فيما يجمع عنصري الوطن من مشتركات حياتية وثقافية ومن ذلك وحتى على مستوى الرموز الكبرى التاريخية مثل الأعياد الوطنية مثل يوم الجهاد في 13 تشرين الثاني (نوفمبر) 1919 بمناسبة ثورة 1919 وثورة 1919 نفسها متجسدة في قيم المساواة والتسامح وتآخي عنصري الوطن في مواجهة محاولات التفرقة الطائفية التي حرض عليها اللورد كرومر وغيره من المندوبين الساميين البريطانيين، ثم عيد ثورة تموز (يوليو) 1952.

ومن أسباب تراجع أهمية هذه الأعياد كرموز وطنية مهما كان الخلاف حول تقييمها أن السياسة الرسمية وتصرفات الحكومة قد قللت من القيمة الرمزية لهذه الأعياد كمشترك وطني، ولا تخفى هنا خطورة دلالات بعض القرارات مثل زيارة الرئيس مبارك للندن عاصمة الدولة المحتلة السابقة لمصر بعد سنوات قليلة من توليه الحكم في نفس يوم 23 يوليو.

ويلاحظ أن ذكرى هذه الأعياد الوطنية وغيرها مثل عيد الجلاء ووفاء النيل تحولت بفعل سياسة الدولة والحكم الفردي الذي ما يزال يحمل رمزية الفرعون ليس من ناحية منجزاته كملك محارب وكمهندس وإنما فقط من ناحية كونه يملك سلطات وصلاحيات فردية مطلقة من أية محاسبة أو شفافية، وتحولت بفعل تآكل معنى ورمزية الانتماء لوطن واحد إلى مجرد يوم إجازة للراحة من عناء العمل ومناسبة لزيارة الأقارب والأصدقاء!!

إن الوطن كوعاء ثقافي جمعي مجرد يعلو على الولاءات والانتماءات الأولية التقليدية مثل الدين والأسرة والعائلة هو بالأساس حصيلة تفاعل تراكمي لمشتركات تقاليد حياة مشتركة وأنماط تفكير وسلوك مشتركة حتى لو كانت سلبية أو معيبة، وهذه المشتركات تقوم أساسا على انشغالات ثقافية حياتية تصهر الجميع لا تظهر في مصر إلا نادرا ومنذ عشرات السنين مثل البطولات العربية والإفريقية لكرة القدم أو مسابقات الدخول لكأس العالم التي تشترك فيها مصر أو بمناسبة تقدم مصر لاستضافة كأس العالم لعام 2010! ومع الغياب التام لأي مشروع وطني للنهضة أو التنمية أو التحول الديمقراطي بل مع تراجع الحكومة حتى عن خطط التنمية الخمسية التي توقفت عمليا عند عام 1965 وتمثلت شكلا في خطة 1982 ـ 1986 وانتهت كما تناست الحكومة مشروعاً سماه الرئيس مبارك مشروع ألف يوم لإصلاح الاقتصاد المصري أطلقه في بداية التسعينات، كان يمكن لمشروع على نطاق أصغر مثل تحديث التعليم وتطوير البحث العلمي أو مشروع لمعاودة الريادة الثقافية لمصر في وطنها العربي أن يكون مشتركا ثقافيا يجمع عنصري الأمة.

والواقع أن ما صار يجمع هذين العنصرين عمليا هو المعاناة المشتركة من الفساد الإداري والمالي والاقتصادي والسياسي وغلاء الأسعار ولهيب التضخم والمعاناة المشتركة من كوارث عامة مثل حريق مسرح بني سويف وكارثة غرق العبارة السلام 98 وكارثة إنفلونزا الطيور والحمى القلاعية وتسمم تلاميذ المدارس من التغذية والأمراض الناجمة عن المبيدات والهرمونات المسرطنة وتوابع تزوير استفتاء تعديل المادة 76 من الدستور وتزوير الانتخابات الرئاسية والتشريعية وتغول السلطة التنفيذية على السلطة القضائية وتحويل قضاة شرفاء للتأديب لكشفهم هذا التزوير. ومن الواضح أن الحلول أو المبادرات المقدمة هنا من قبل حركات سياسية وأحزاب ومنظمات المجتمع المدني تكاد تسيطر عليها حالة تسييس عالية وشحن وانفعال وتوتر واحتقان مسيس بعيدا عن أي عمق ثقافي أو فني.

من جانب آخر، نلاحظ أن الغالبية الساحقة من المعالجات والمبادرات التي تتم بغرض محاولة تطويق العنف الطائفي تتميز بأنها مؤقتة وموسمية تعتمد على أسلوب تقليدي عفا عليه الزمن وهو مهرجانات الوحدة الوطنية أو موائد الوحدة الوطنية بمناسبة رمضان أو زيارات تطييب خاطر وكذلك لكسب نقطة من طرف على حساب طرف آخر يشارك فيها الجميع حكومة ومعارضة حزب حاكم وأحزاب وجماعات سياسية معارضة. وبعضها يتم بقصد تسجيل مواقف أو إبراء الذمة.

وفي الأغلب الأعم نلاحظ أن ما يلقى من كلمات في هذه الزيارات والمناسبات يعتمد على ذكر مآثر الماضي العظيم المجيد وشعارات الوحدة الوطنية واتهام قوى خارجية باللعب في الفتنة دون أن تدرك الغالبية العظمى منا أن ما ينبغي أن يجمع المواطنين في زمن العولمة والتقدم المعلوماتي الهائل مشتركات معاصرة حديثة وحداثية وليست تاريخية ولا ماضوية. فما يجمع الناس بغض النظر عن الدين أو اللغة أو العرق أو الطائفة هو الانجاز الاقتصادي أو التقدم في مجالات وميادين التنمية البشرية في التعليم والصحة والدخول ومتوسط العمر والمشاركة السياسية والأمان الاجتماعي وهي أسس حديثة للمواطنة. هذه المؤشرات تسجل فيها مصر تراجعا مروعا مخيفا منذ بداية التسعينات من القرن الماضي حتى تفوقت عليها دول مثل الفلبين والأردن ولبنان.

---

* كاتب من مصر